وصف الجنان

في سورة الرحمن

إعداد

أبي عبد الرحمن طارق أحمد الحمادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل جِنان الخُلْد لعباده المؤمنين نُزُلاً، ويسَّرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتَّخذوا سواها شُغُلاً، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، بَعثَه الله للإيمان مناديـًا، وللخليقة هاديـًا، وإلىٰ دار السلام داعيـًا، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمـًا كثيراً.

أمَّا بعد:

الجنة دار المتَّقين

فإنَّ الله تعالىٰ خَلَق الجنة وجعلها دار الكرامة لعباده المتَّقين في الآخرة، قال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ

وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾[١].

فيها «مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ»[٢]، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[٣].

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكيف يُقدَّر قَدْر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرّاً لأحبابه، وملأها من كرامته ورحمته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، ومُلْكها بالمُلْك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهَّرها من كل عيب وآفة ونقص»[٤].

الإكثار من وصف الجنة في سورة الرحمن

وقد وصف الله تعالىٰ جنَّته في مواضع عديدة من كتابه،

---

[١] ق: ٣١-٣٤.

[٢] رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

[٣] السجدة: ١٧.

[٤] حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح لابن القيم (٢/ ٥٩٧).

وأكثرَ من وصفها وبيان ما فيها من النعيم في سورة الرحمن.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وصف الله تعالىٰ الجنة في كتابه وصفًا يقوم مقام العيان، في غير ما سورة من القرآن، وأكثر ذلك في سورة الواقعة والرحمن، وهل أتاك حديث الغاشية وسورة الإنسان»[١].

وصف الجنَّتَيْن الأُوليَيْن

وفي سورة الرحمن ذِكْر أربع جِنان وصفهنَّ الله تعالىٰ، ويشهد لهذا: قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا**»[٢].

يقول سبحانه في بيان الجنَّتَيْن الأُوليَيْن: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ** ﴿٤٦﴾ ﴾ أي: للذي خاف القيام بين يدي ربِّه في الآخرة؛ فاتَّقاه بِفِعْل أوامره، وتَرْك زواجره؛ فإنَّ له جنَّتَيْن[٣].

---

[١] التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة للقرطبي (٢/ ٩٢٩).

[٢] رواه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

[٣] يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٧٩).

والجنة: مأخوذة من الاجتنان وهو السِّتْر؛ وسمِّيت بذلك لأنَّها تَسْتر ما بداخلها من كثرة الأشجار[١].

«وهذه الآية عامَّة في الإنس والجن، فهي من أدلِّ دليل علىٰ أنَّ الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتَّقوا؛ ولهذا امتنَّ الله تعالىٰ علىٰ الثَّقلَيْن بهذا الجزاء»[٢].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ أي: فبأيِّ نِعَم الله الدينيَّة والدُّنيويَّة -يا معشر الجن والإنس- تكذِّبان؟ وهذا الاستفهام للإنكار، والجواب عليه أن يقول المؤمن: لا نكذِّب بشيء من آلائك ونِعَمك علينا يا ربَّنا، فلك الحمد والشُّكر[٣].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: «لا بشيء من آلائك ربَّنا نكذِّب، فلك الحمد؛ فهذا الذي ينبغي للعبد إذا تُلِيَت عليه نِعَم الله وآلاؤه، أن يُقِرَّ بها، ويشكر ويحمد الله

---

[١] يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص١١٦).
[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١١٣-١١٤).
[٣] يُنظر: تفسير القرآن الكريم (سورة الرحمن) لابن عثيمين (ص٣٠٥) و(ص٣٠٧)، التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣١).

عليها»[١].

ومن أوصاف هاتَيْن الجنَّتَيْن أنَّهما ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي: صاحبتا أفنان، والأفنان: جَمْع فَنَن وهو الغصن، والمعنىٰ: أنَّهما مشتملتان علىٰ الأشجار الكثيرة الزاهرة، ذوات الأغصان الناعمة التي فيها الثمار اليانعة، والفواكه المتنوعة، وهذه الأغصان تُبْهج الناظر، وتُسْعد الخاطر[٢].

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: «فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟»[٣]

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي: في هاتَيْن الجنَّتَيْن عينان من الماء تجريان خلالهما وتسرحان؛ لسَقْي الأشجار والأغصان؛ فتثمر من جميع الألوان[٤].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٧٧).
[٢] يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٧٩)، تفسير القرآن الكريم (سورة الرحمن) لابن عثيمين (ص٣١٩).
[٣] التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣٣).
[٤] يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١١٥)، التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣٣).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ أي: في هاتَيْن الجنَّتَيْن من كل نوع من الفواكه صنفان، كل صنف له من الطعم واللَّذة واللَّون ما ليس للآخَر.

والفاكهة هي كل ما يتفكَّه الإنسان به مذاقًا ونظراً؛ فيشمل أنواع الفاكهة الموجودة في الدنيا، والتي ليس لها نظير فيها[١].

وهذا الأكل في الجنة ليس من جوع، وإنَّما هو لذَّات متوالية ونِعَم متتابعة تَبْعث علىٰ السعادة والسرور، كما قال تعالىٰ لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾[٢].

والحكمة في ذلك: أنَّ الله تعالىٰ نعَّمَهم في الجنة بنوع ما

---

[١] يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٧٩)، تفسير القرآن الكريم (سورة الرحمن) لابن عثيمين (ص٣١٩)، التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣٣).

[٢] طه: ١١٨-١١٩.

كانوا يتنعَّمون به في الدنيا، وزادهم علىٰ ذلك ما لا يعلمه إلَّا هو سبحانه[١].

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ أي: جالسين علىٰ فُرُش مبطَّنة من غليظ الدِّيباج الذي هو أحسن الحرير وأفخره، فهذا وصف بطائنها التي تلي الأرض، فكيف بظواهرها التي تلي بشرتهم؟![٢]

﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ أي: وثمر هاتَيْن الجنَّتَيْن قريب منهم، يتناولونه متىٰ شاؤوا وعلىٰ أيِّ صفة كانوا؛ قائمين أو قاعدين أو مضطجعين[٣].

---

[١] يُنظر: التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة للقرطبي (٢/ ٩٨٤).
[٢] يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٧٩)، التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣٣).
[٣] يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١١٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٧٩).

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ ﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

ولمَّا ذَكَر الله تعالىٰ الفُرُش وعظمتها قال بعد ذلك: ﴿ فِيهِنَّ ﴾ أي: في هذه الفُرُش ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾ أي: زوجات قد قصَرْن طرفهنَّ علىٰ أزواجهنَّ من حُسْنهم، وجمالهم، وكمال محبتهنَّ لهم، وقصَرْن أيضًا طرف أزواجهنَّ عليهنَّ من حُسْنهنَّ، وجمالهنَّ، ولذَّة وصالهنَّ[١].

﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ ﴾ أي: «لم ينلهنَّ قبل أزواجهنَّ أحدٌ من الإنس والجن، بل هنَّ أبكار متحبِّبات إلىٰ أزواجهنَّ بحُسْن الملاحة والدَّلال؛ ولهذا قال: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾، وذلك لصفائهنَّ، وجمال منظرهنَّ، وبهائهنَّ»[٢].

---

[١] يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١١٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٧٩).

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٨٠) باختصار وتصرف يسير.

ويشهد لهذا الوصف: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَىٰ مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ»[١].

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي: هل جزاء مَن أحسن العمل في الدنيا -بطاعة ربِّه ونفع عباده- إلَّا الإحسان إليه في الآخرة؛ بالأجر العظيم، والنعيم المقيم في الجنة[٢]، ورؤية الربِّ سبحانه فيها، كما قال تعالىٰ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٣]؛ والحُسْنىٰ: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلىٰ وجه الله الكريم؛ كما فسَّر الآية جَمْع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٤].

---

[١] رواه البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤) واللفظ له.

[٢] يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١١٧)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٨٠).

[٣] يونس: ٢٦.

[٤] يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٢/ ١٥٥-١٦٢)،

ويدلُّ لهذا التفسير: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ». ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾[١][٢].

وصف الجنَّتَيْن الأُخْرَيَيْن

ثم ذَكَر سبحانه الجنَّتَيْن الأُخْرَيَيْن، وهما دون السَّابقتَيْن اللَّتَيْن تقدَّم وصفهما، فقال -عزَّ من قائل-: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢﴾ أي: «هاتان الجنَّتان دون اللَّتَيْن قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة»[٣].

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٩٥).

[١] يونس: ٢٦.

[٢] رواه مسلم (١٨١).

[٣] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١١٨).

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ ﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

ومن أوصافهما أنَّهما ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي: هاتان الجنَّتان خضراوان، قد اشتدَّت خضرتهما حتىٰ مالت إلىٰ السواد من كثرة ريِّهما بالماء[١].

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ ﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾ أي: في هاتَيْن الجنَّتَيْن عينان فوَّارتان بالماء العذب لا تنقطعان[٢].

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ ﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ أي: في هاتَيْن الجنَّتَيْن من

---

[١] يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١١٩)، التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣٣).

[٢] يُنظر: التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣٣).

جميع أصناف الفواكه، ومن ذلك: النخل والرمان؛ وخُصَّا بالذِّكْر لشرفهما علىٰ غيرهما[١].

والأسماء في الدنيا والآخرة قد تتشابه؛ ففي الدنيا نخل ورمان، وفي الآخرة كذلك، لكن في الحقيقة بينهم اختلاف كبير؛ فالتشابه في الاسم فقط، ويدلُّ لهذا قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[٢]؛ فلو كان التشابه في الاسم والحقيقة لكنَّا نَعْلَم، لكنَّنا لا نَعْلَم؛ فالاسم واحد، ولكن الحقيقة مختلفة[٣].

ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ليس في الجنة شيء يُشْبه ما في الدنيا إلَّا الأسماء»[٤].

---

[١] يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١١٩)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٨٠).

[٢] السجدة: ١٧.

[٣] يُنظر: تفسير القرآن الكريم (سورة الرحمن) لابن عثيمين (ص٣٢٢).

[٤] رواه الطبري في تفسيره (١/ ٤١٦)، وأبو نعيم في صفة الجنة (١٢٤) واللفظ له، وصحَّح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلِّقًا: «يعني: أنَّ بين ذلك بَوْنًا عظيمًا، وفَرْقًا بيِّنًا في التفاضل»[١].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ أي: في الجِنان كلها زوجات طيِّبات الأخلاق، حِسان الوجوه؛ فجمَعْن بين جمال الظاهر والباطن، وحُسْن الخَلْق والخُلُق[٢].

ويشهد لهذه الآية: قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ:

نَحْنُ الخَيْرَاتُ الحِسَانْ ... أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامْ

(٢١٨٨).

[١] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١١٥).

[٢] يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٨٠)، التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣٤).

يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانْ»[١].

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ ﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ الحور: جَمْع حوراء، وهي التي في عينها كحل وملاحة، وحُسْن وبهاء؛ فهؤلاء الحور ﴿ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ أي: مستورات ومصونات في خيام اللؤلؤ علىٰ أكمل ما يكون من الدَّلال والتنعيم، قد تهيَّأن وأعدَدْن أنفسهنَّ لأزواجهنَّ.

ولا ينفي ذلك خروجهنَّ في البساتين ورياض الجنة، كما جرت العادة لبنات الملوك[٢].

ويشهد لهذه الآية: قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ

---

[١] رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٩١٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٤٩).

[٢] يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٨٠) و(ص٩٨٢)، تفسير القرآن الكريم (سورة الرحمن) لابن عثيمين (ص٣٢٢)، التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣٤).

فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ، فَلَا يَرَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[١].

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾ أي: «لم يَطَأ هؤلاء الحور إنسٌ قبل أزواجهنَّ ولا جانٌّ»[٢].

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ ﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: أصحاب هاتَيْن الجنَّتَيْن متَّكأهم علىٰ وسائد مغطَّاة بأغطية خُضْر، وفُرُش منسوجة نسجًا حسنًا فاخراً؛ ولهذا وصفها تعالىٰ بالحُسْن الشامل: لحُسْن الصَّنْعة، وحُسْن المنظر،

---

[١] رواه مسلم (٢٨٣٨).

[٢] التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣٤).

ونعومة المَلْمَس[١].

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ ﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما -أيها الثَّقلان- تكذِّبان؟

وبعد أن ذَكَر سبحانه سعة فضله، وإحسانه إلىٰ خَلْقه، خَتَم السورة بقوله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ أي: «تكاثرت بركة اسم ربِّك وكَثُر خَيْرُه، ذي الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه»[٢].

وممَّا يدلُّ علىٰ عِظَم شأن هذه الآية: أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا سلَّم من صلاة الفريضة؛ استغفر ثلاثًا، ثم قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»[٣].

---

[١] يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٨٠)، التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣٤).

[٢] التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص٥٣٤).

[٣] رواه مسلم (٥٩١).

فضل الجنَّتَيْن الأُوليَيْن على الأُخْرِيَيْن

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أوجه تفضيل الجنَّتَيْن الأُوليَيْن علىٰ الأُخْرِيَيْن: «وهاتان الجنَّتان دون الجنَّتَيْن الأُوليَيْن، كما نصَّ الله علىٰ ذلك بقوله: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾.

وكما وصف الأُوليَيْن بعدَّة أوصاف لم يصف بها الأُخْرِيَيْن، فقال في الأُوليَيْن: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾، وفي الأُخْرِيَيْن: ﴿ عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾، ومن المعلوم الفرق بين الجارية والنضَّاخة.

وقال في الأُوليَيْن: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾، ولم يَقُل ذلك في الأُخْرِيَيْن.

وقال في الأُوليَيْن: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾، وفي الأُخْرِيَيْن: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾، وقد عُلِم ما بين الوصفَيْن من التَّفاوت.

وقال في الأُولَيَيْن: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾، ولم يَقُل ذلك في الأخيرتَيْن، بل قال: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴾.

وقال في الأُولَيَيْن في وصف نسائهم وأزواجهم: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾، وقال في الأُخْرَيَيْن: ﴿ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴾، وقد عُلِم التَّفاوت بين ذلك.

وقال في الأُولَيَيْن: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾؛ فدلَّ ذلك أنَّ الأُولَيَيْن جزاء المُحْسِنين، ولم يَقُل ذلك في الأخيرتَيْن.

ومجرَّد تقديم الأُولَيَيْن علىٰ الأُخْرَيَيْن؛ يدلُّ علىٰ فضلهما.

فبهذه الأوجه يُعْرف فضل الأُولَيَيْن علىٰ الأُخْرَيَيْن، وأنَّهما معدَّتان للمقرَّبين؛ من الأنبياء، والصِّدِّيقين، وخواص عباد الله الصالحين، وأنَّ الأُخْرَيَيْن معدَّتان لعموم المؤمنين.

وفي كلٍّ من الجنَّات المذكورات ما لا عين رأَتْ، ولا أُذُن

سَمِعتْ، ولا خَطَر علىٰ قلب بشر، وفيهنَّ ما تشتهيه الأنفس، وتَلَذُّ الأَعْيُن، وأهلها في غاية الرَّاحة، والرِّضا، والطمأنينة، وحُسْن المأوىٰ، حتىٰ إنَّ كلّاً منهم لا يرىٰ أحداً أحسن حالاً منه، ولا أعلىٰ من نعيمه الذي هو فيه»[١]، كما قال تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾[٢].

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص٩٨٠-٩٨١).

[٢] الكهف: ١٠٨.

صدر للمؤلف